موادها كل هؤلاء انفقوا اجورهم على بضائع اشتروها من بيروت ونحوها من مدن الساحل فالمهاجرة التي عمرت لبنان زادت عمارة بيروت وسائر المدن الساحلية

وقد كنت اعجب كيف تيسر لاهالي بيروت ودمشق وما يتبعها ان يسيروا في سبيل الارتقاء في العشر السنوات الاخيرة مع اشتداد الظلم والقهر في سائر الولايات العثمانية الى ان اجتمعت اخيراً بدولتلو ناظم باشا والي بيروت فأكد لي انهُ حمى الاحرار وجرى على موجب الحكومة الدستورية كل مدة ولايته على سورية وبيروت وكان الجواسيس يفلحون احياناً في الوشاية بزيد او عمرو فتأتي الاوامر من الاستانة مشددة فيخفي عنها ما استطاع الى الاغضاء سبيلاً . وسمعت من كثيرين من العارفين به ما يؤيد ذلك وحسبهُ فخراً انهُ بقي هذا الزمن في الديار السورية ولم يرتش بغرش ولو اراد لجمع مئات الالوف من الليرات كما فعل غيرهُ من الولاة . والوالي الذي لا يرتشي لا يصادر الناس في اموالهم ولا يقف في سبيل تقدمهم ولذلك تيسر لاهالي هاتين الولايتين ان يسيروا شوطاً طويلاً في سبيل الارتقاء

الاستاذ لمبروزو

هو الدكتور قيصر لمبروزو ولد في مدينة فيرونا في الثامن عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٣٥ ويتصل نسبهُ باسرة اسرائيلية نبغ كثيرٌ من افرادها فكان بين اسلافهِ عددٌ من المؤلفين والاحبار والمحامين والاطباء وجدهُ لامهِ شاعر يدعى داود لاوي كانت لهُ يدٌ في ثورة ايطاليا التي آل امرها الى الاستقلال

ظهرت على صاحب الترجمة دلائل النجابة منذ حداثتهِ فرأى كثرة الآثار في بلادهِ ومال الى درس تاريخها فقرأ مؤلفات ليڤيوس وطاسيتس وغيرهما وألف مقالة في عظمة رومية وانحطاطها وذلك قبل ان يبلغ الثانية عشرة من العمر . وبعد ذلك بسنة عثر على كتاب في درس الآثار لرجل يدعى بولس مرزولو وهو على جانب عظيم من العلم الاَّ انهُ لم يكن قد نال الشهرة التي يتنفسها عملهُ فكتب لمبروزو مقالة تند فيها الكتاب واظهر محاسنهُ ونشر المقالة في احدى الصحف اليومية فسرَّ المؤلف بها وطلب ان يراهُ فلما التقى بهِ استغرب حداثة سنهِ فاستحكمت الصداقة بين الاثنين من ذلك الحين ودامت زمناً طويلاً

وترك لمبروزو الدروس المتبعة في المدارس العالية واخذ يتعلَّم اللغات الشرقية بارشاد

صديقه مرزولو فاتقن العبرانية والكلدانية والمصرية القديمة والصينية واخذ يسعى الى اكتشاف طريقة يردّ بها هذه اللغات الى اصل واحد . لكن مرزولو رأى ان درس اللغات الشرقية لا يقوم بمعاش صديقه فاشار عليه بدرس الطب ففعل وتخرّج فيه في مدينة بادوى ثم سافر الى فينّا وباريس للتوسّع في المعارف . وكان لهُ ميلٌ شديد الى البحث في الامراض العصبية والعقلية فكتب مقالتين في هذه الامراض وهو تلميذ . ثم لما نشبت الحرب بين النمسا وايطاليا سنة ١٨٥٩ انتظم في الجيش الايطالي طبيباً متطوّعاً وبقي ست سنوات في الخدمة الّف في اثنائها مقالةً في البثرا كسبتهُ شهرةً واسعة ونال بها جائزة عليّة وهي الجائزة العليّة الوحيدة التي نالها مدة حياته . واغتنم فرصة وجوده بين العساكر فدرس اخلاقهم واشكالهم المختلفة وفحص منهم لا اقل من ٤٠٠٠ رجل فحصل بذلك على خبرة واسعة كانت لهُ بها فائدة عظيمة في المباحث التي الّف فيها . ثم انتقل مع فرقته الى مدينة پاڤيا حيث تمكن من مداومة البحث في الامراض العقلية في بيمارستانها . الاّ ان رؤساءهُ العسكريين لم يرق لهم هذه الامور فضيّقوا عليه فاعتزل الخدمة واخذ يلقي خطباً على بعض الطلبة في الجامعة وبعد سنة من الزمان عُيّن استاذاً للامراض العقلية براتب زهيد . وفي هذه الاثناء القى خطبةً في « النوابغ والجنون » فاكتسب بها شهرة عظيمة وعرف بعدها انهُ من العلماء المفكرين

ولم تقف شهرتهُ عند هذا الحدّ بل وفق الى اكتشاف عظيم الاهمية لفوائده العلمية والاجتماعية الاّ انهُ سبب لهُ كرهاً شديداً عند كثيرين من مواطنيه وهو انهُ رأى ان كثيرين من المرضى في البيمارستان مصابون بداء يسمّى البلاغرا تظهر اعراضهُ في الجلد اولاً ثم في الجهاز العصبي وهو كثير في ايطاليا ومصر . فوجد ان سبب هذا الداء اكل الذرة الصفراء المتعفنة واستخرج من هذه الذرة سمًّا لقّح به بعض الحيوانات فاصابها داء البلاغرا . فاشار على الحكومة ان تمنع بيع الذرة المتعفنة فقامت عليه قيامة اصحاب الاملاك في لمبارديا حيث تزرع الذرة وقال عنهُ احد الاطباء في اجتماع عقد لهذه الغاية انهُ مهووس وان تجاربهُ وامتحاناته لا اساس لها الاّ مخيّلتهُ فطلب لمبروزو تشكيل لجنة عليّة وجرّب تجاربهُ امامها فكذّبهُ الاعضاء وقالوا انهُ دسّ الاستركنين في العصير الذي استخرجهُ من الذرة وطلبوا طردهُ من الجامعة . فاتى لندفاع عنهُ صديق يدعى الفرد موري وعرض المسألة على برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور فامتحن برتلو المادة السامّة المستخرجة من الذرة وقال انها تشبه الاستركنين كثيراً لكنها تختلف عنهُ في امور كثيرة فثبت بذلك اكتشاف لمبروزو . وبقي لمبروزو يجاهد عدة سنوات على المنابر وصفحات الجرائد وهو يطلب من الحكومة تحسين احوال

الفلاحين فقاومهُ خصومهُ مقاومة عنيفة جعلت مركزهُ حرجاً في الجامعة فاستقال منها وجعل استاذاً للامراض العقلية في تورينو حيث كانت تقيم اسرة امرأتهِ

وبقي في تورينو مدةً يبحث في اسباب الجرائم واسسها متحققاً صار فيما بعد داراً لمباحثهِ في هذا العلم . وهو اول من طبّق علم تحقيق الشخصية على الجرائم وكان عندهُ مجموعة من الجماجم فريدة في بابها منها جمجمة احد مشاهير القتلة فبحث فيها بحثاً مدققاً وبنى على ذلك رأيهُ في الجرائم وهو ان الميل اليها رجوعٌ الى اصلٍ قديم . ووجد ان بعض المميزات في اعصاب المجرمين وتركيب اجسامهم توجد في بعض الشعوب من البشر وفي القرود ايضاً ووجد ان اكثر المجرمين مصابون بامراض عقلية ونشر آراءهُ هذهِ في كتابٍ سماهُ «الرجل الجاني»[1] وطبعهُ سنة ١٨٨٩ . وكانت اراؤهُ في النوابغ من الناس تشبه آراءهُ في المجرمين وزعم ان النبوغ نوعٌ من الصرع الخفيف ونشر ذلك في كتاب سماهُ «الرجل النابغة[2]» ونُقل هذا الكتاب الى لغات كثيرة

ولهُ آراء غريبة في الجرائم السياسية الكبيرة التي تلطخ بها التاريخ فقال ان الامراض العقلية وبائية كغيرها فالاضطهادات التي كانت تقع على الاسرائيليين ابناء جلدتهِ كانت من هذا القبيل

واشتغل في اخريات ايامهِ في مناجاة الارواح وكان رأيهُ فيها انها صادرة عن احوالٍ عقلية خارقة العادة . وكان من منشئي مجلة الامراض العقلية

ومن تلامذتهِ واتباعهِ صهراهُ زوجا ابنتيهِ وهما الاستاذ فريرو والسنيور كرارا وازيكو فرني والبارون رونكوروني وباتريزي وزبوليو وغيرهم . ولابنتيهِ شهرة في عالم الادب وقد كتبتا ترجمة حياتهِ حينما احتفل بمضي ثلاثين سنة من تعيينهِ استاذاً في تورينو

توفي بمرض القلب في التاسع عشر من اكتوبر الحالي (تشرين الاول) فيكون عمرهُ اربعاً وسبعين سنة . وكانت لهُ شهرة واسعة بين العلماء فنقلت كتبهُ الى لغاتٍ كثيرة وجمع من بيعها ثروة طائلة

(1) L'uomo Delinquente.
(2) L'Uomo di genio.